

HASHIM JAFAR HAIDARI,
ADNAN ABID HASSAN MASOUDI
هاشم جعفر الحيدري، عدنان عبید حسن المسعودي
(Ahl Al-Bayt University, Iraq)
(جامعة أهل البيت، العراق)

توظيف الأسطورة في الشعر العربي الحديث. الشاعر بدر شاكر السياب أنموذجاً

Abstract

Legend as Employed in Modern Arabic Poetry:
A Stylistic Pragmatic Analysis of Badr Šākir as-Sayyāb

The Arab heritage in particular was an important venue for the pioneers of free verse (*taf'ilah poetry*), which emerged at the birth of the modernism movement in modern Arab literature. It served as a reference and an inspiration for their poetic experiences. The poets' attachment to this particular genre was obvious, making it effortless for them to creatively incorporate it into their compositions. These poets straddled the line between modernism and traditionalism. The rebirth that Badr Šākir as-Sayyāb derived from T.S. Eliot's poetry, and, in particular, *The Waste Land*, had the greatest presence among other poets in the realm of free verse. Badr Šākir as-Sayyāb attempted on multiple occasions to elevate the prominence of the symbols in his poems by fluctuating the linguistic content and thus bypassing their primitive status. In light of this, the current study investigates the artistic and pragmatic aspects of the poet's diwan. The study focuses on aspects related to the employment of legacy, legendary symbols and religious symbols. The current study moves towards uncovering the reasons behind the poet's motivations for exploring and subsequently employing the concept of legacy in his poems. The study further seeks to reveal the impact of this employment on the poet's poetry. The poet enriched modern Arabic poetry with various artistic and influential works. The harrowing experiences and forcible departure from his homeland have produced creative proof depicting the injustice, bigotry, and dislocation he endured. He objectively portrays the catastrophes that his

society endures and employs them so that they become more like contemporary fictional stories framed by passion and myth, utilizing symbolism that adds a profound impact. While living the reality of his society, he uses this power to convey the message he wishes to convey.

Keywords: Badr Šākir as-Sayyāb, Legend, Legacy, Legendary and Religious Symbols, Modern Arabic Poetry

الملخص

مع بواكير حركة الحداثة التي شهدها الأدب العربي المعاصر، كان التراث العربي على نحو خاص يشكل موقعا محوريا عند رواد شعر التفعيلة، وموردا ومرجعا أساسيا لتجاربه الشعرية، وكان تفاعلهم معه واضحا. الشيء الذي يَسَّرَ لهم عملية توظيفه وتفعيله فنياً داخل نصوصهم. وقد كان هؤلاء الشعراء، حداثيين وتراثيين في آن واحد. وكان لشعر بدر شاكر السياب الحضور الأوفر في ذلك وبدلالات متعددة تختلف بإيحائها من نص إلى آخر وإن كانت تدور بمجملها في فلك الانبعاث الذي أسس له في الشعر الشاعر الإنكليزي ت. س. اليوت في قصيدته "أرض الضباب". حاول الشاعر بدر شاكر السياب وفي مناسبات عدة أن يمنح رموز قصائده زخما زائداً عن طريق التحوير في المضامين متجاوزا بذلك وضعها البدائي. سيحاول البحث أن يستكشف الجوانب الفنية والدلالية في ديوان الشاعر، وبالخصوص تلك الجوانب التي لها علاقة بتوظيف التراث من إشارات ورموز أسطورية ودينية، حاول الشاعر عن طريقها التعبير عن مضامين جديدة وجريئة من خلال تجاربه المعاصرة. وفي ضوء ذلك يتوجه هذا البحث إلى محاولة إزاحة اللثام عن أسباب اهتمام الشاعر بدر شاكر السياب بالتراث وعنايته بتوظيفه في قصائده، وما اكتسبته النصوص الشعرية من خلال استعانتها بصور التراث. إن التجربة القاسية التي عاشها الشاعر والابتعاد عن وطنه وهو مكره، أنتجت لنا شواهد شعرية معبرة عما عاشه من ظلم وإجحاف وتشرد تكاد أن تكون أسطورة من الخيال. لقد أرفد الشاعر الشعر العربي الحديث، وأغناه بمختلف الأشكال الفنية والمؤثرة. فنجد من خلال شعره أنه يتجرد من الذات ليعبر عما يشاهده من مأسى يعاني منها المجتمع والذي هو جزء منه، ويوظفها أشبه أن تكون قصصاً خيالية معاصرة، توظفها العواطف والأسطورة مستعينا بالرمزية التي تضيف إليها نوعاً من التأثير العميق، يكاد أن يجعل منها وسيلة لسرد ما يريد أن يعلنه، وهو نابع من الحقيقة والواقع المعاصر للشاعر. فهو القائل:

ديوان شعري يعودُ من سفره! ما ضرني لو يظلُّ في وطره
وكان في جنَّةٍ فأخرجه منها تجني الزمان في قدره

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد استطاع السياب أن يدمج بين القضايا الإنسانية عامة والقضية العربية بصورة خاصة، بأسلوبه على أن يبقى دائما العواطف متقدة وفعالة، مبرزاً مأسى الأمة العربية، بإطار التفاؤل بأن هذه المأسى والالام لا بد لها من نهاية، وعندها سوف تندفع الأمة إلى النهوض والتحرير. وهو القائل

لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبد الألم
لك الحمد أن الرزايا عطاء
ألم تُعطني أنت هذا الظلام
وأعطيتني أنت هذا السحر¹؟

لقد وعى السياب أزمات الإنسان في عصره وبينته، وبنوغه سعى إلى تجربة ثقافية معتدلة، لم تجعله خارج الوسط الأدبي، ولم تقتل فيه عامل الفطرة التي استمد منها مشاعره، والتي أمنت له أن يصل إلى منابع الحقيقة، دون تشويش.

إننا نلمس في شعر السياب وجعا وألماً. فهو عندما يكتب يستخرج من وجدانه كلمات من عمق ذاته، معبراً عن خلجاته بروح جريئة ومعذبة بالهموم الصغيرة المتمثلة بحاله وما يعانیه والكبيرة التي تشمل هموم العراق والأمة فيقول:

في سواد الشارع المظلم والصمت الأصم
حيث لا لون سوى لون الدياجي المدهم
حيث يرخى شجر الدفلى أساه
فوق وجه الأرض ظلاً
قصةً حدثني صوتٌ بها ثم اضمحلاً
وتلاشت في الدياجي شفتاه².

من هذه اللوحة الشعرية الجميلة والمعبرة عن فلسفة الألم الذي كان الشاعر يترجمها في قصائده، وقليلاً من النقد استطاع أن يضع إصبعه عليها ويكتشف معانيها إن لم نقل من يتبصر أحداً بها.

الكلمات المفاتيح: الأسطورة، التراث، الرموز الأسطورية والرموز الدينية، الشعر العربي الحديث

المقدمة

كثير من الأدباء والنقاد كتبوا في حياة الشاعر بدر شاكر السياب، ونظروا في قصائده. ولكن من النادر أن نجد من بينهم من نظر أو تفحص في ديوانه أو بحث في حياته من وجهة نظر فلسفية أو فكرية.

لقد حاولنا في هذه الدراسة المتواضعة أن نقرأ جانباً من حياته مستعينين بأعماله الشعرية في مواضيع الألم والشقاء، وأن نجد فهماً لمواقع أو مواضيع حزنه وآسسه وتمرده برؤية عقلانية محايدة.

¹ بدر شاكر السياب، منزل الأفتان، قصيدة سفر أيوب، دار العلم للملايين، ص. 36.

² نفس المرجع، ص. 59.

وعلينا أن نعتزف بعدم وجود دراسة جادة تلقي الضوء على فلسفة الألم في قصائد بدر شاكر السياب بصورة وافية، لكننا نجد آهات الألم والحزن واليأس صارخة في كلماته. وقد يستطيع المؤرخ لسيرة السياب أن يجمع بين الأسباب ونتائجها في قياس منطقي مقبول. غير أنه من الملاحظ لدينا أن غربة السياب هي مصدر شقائه أو حزنه. قد لا نستطيع تفسيرها بمجرد ردها إلى الأسباب الطبيعية أو الاجتماعية، وهكذا ينتهي الأمر كما تصوّر كل مؤرخي سيرته الشخصية.

لاشك لدينا أن غربة السياب عن مجتمعه، وتمرّده على قيم عصره، قد تحمل في غيابهها البعيدة عللاً ميتافيزيقية كامنّة في طبيعة أصحاب النفوس العظيمة، ومنهم الشاعر بدر شاكر السياب. إن التصفح بالدواوين التي كتبها بدر شاكر السياب، وفي كل قصيدة منها، عند قراءتها ترسم لنا لوحة تعبر عن المأساة التي كان يعانيتها، من صغره، إلى أن أكمل نضوجه الفكري. كما يمكن أن نصفها بأنها مرآة تعكس معاناته. فيقول:

و غنى لها أرق الغنّاء	رب طيرٍ أظّلها بجناحيه
الشوق لها ذائلاً مع الأنداء	ربّ نهرٍ مصقّي أرسل
شوقاً و غنى على تراجع ناء. ³	رب راعٍ هفا لرؤيتها

ويقسم البحث إلى فصلين: الفصل الأول يشمل على محطات في حياته، أما الفصل الثاني فينتطرق إلى بناء القصيدة في شعره. ومن هنا نرجو أن نوفق بوضع لبنة في البحث الذي بدأه من سبقونا في ما قدمه هذا الشاعر من نتاج أدبي أغنى من خلاله المكتبة الشعرية. ومن الله التوفيق.

محطات ومراحل في حياة بدر شاكر السياب الاجتماعية والشعرية⁴

الشاعر بدر شاكر السياب، يمثل ظاهرة أدبية فريدة من نوعها، فالحياة التي عاشها السياب كانت حياة قاسية ومريرة تستدر الدموع وتكسب التعاطف. تجرّع السياب مرارة اليتيم، فلم يتجاوز عمره ست سنوات فقط، حين سقطت والدته بين مخالب الموت وهي في ريعان الشباب، إذ لم يبلغ عمرها حين زارها هاتف الموت أكثر من ثلاث وعشرين سنة لا غير.

بعد عام 1932، ذلك العام المشؤوم في حياة السياب، لم يجد ذلك الطفل البائس من يناديه بكلمة "الأم". لا أحد يستطيع أن يعبر عن حالات الانكسار والذلة في عيني طفلٍ فقد أمه،

³ بدر شاكر السياب، ديوان إقبال، قصيدة الوردة المنتورة، دار الطليعة، بيروت 1965، ص. 106. وقد كتبها بتاريخ 1944/04/02.

⁴ بدر شاكر السياب شاعر عراقي ولد في قرية جيگور في محافظة البصرة في جنوب العراق يعد واحداً من الشعراء المشهورين في الوطن العربي في القرن العشرين ولد في 1926-1964م. أدباء وشعراء، دار النشر، بغداد 2020، ص. 30.

حتى وإن سالت الأقلام دموعاً من الناحية السيكلوجية. لا يمكن للأب مهما بلغ مبلغ حنانه وعطفه وشفقته على أولاده أن يعوّض الفراغ الوجودي الذي يتركه موت الأم في حياة الطفل. القضية بالنسبة للسياب لم تنحسر بخسارة الأم المبكرة فحسب، بل سرعان ما تغرّب عن والده بعد زواجه من امرأة أخرى لا ترغب باحتضان السياب وشقيقه الآخرين. وهذا سبب مباشر في أن يعيش تفاصيل أيام قاسية و صعبة، لم تكن وليدة الظروف فقط، بل لعلها كانت جزءاً أصيلاً ضارباً في أعماق نفس السياب المفجوعة.

فالسياب منذ نعومة أظفاره يعاني تمزقاً داخلياً عنيفاً من أزمة، كأزمة مظهره. فهو لم يكن وسيماً بأي مقياس فقد كان دميم الوجه، قصير القامة. وفوق كل ذلك، فقد عانى الحرمان والفقر والغربة⁵.

انطوى السياب على نفسه مراراً، وانهمرت دموعه غزيرةً مع أي كلمة جارحة أو نابية تصدر عن زميل يلهو، أو عن قسوة أب أو زوجة أب. إنه الإحساس المضاعف بقسوة الحياة، منحه الشعور الثقيل بمأساة الوجود. وهو القائل:

نفس من الآمالِ خاويةٌ جرداءُ لا ماءٌ ولا عُشْبُ
ما أرتجيه هو المحالُّ، وما لا أرتجيه هو الذي يجبُ
قدّر رمى فأصابَ صادحةً في الجوّ خرّت وهي تنتحبُ⁶

عاش السياب يوميات بقاء عسيرة، و امتلك وعياً مضاعفاً، وإحساساً عميقاً يفوق شعور زملائه ورفاقه في المدرسة. وظلّ ذلك الحزن يصارعه في كل كلمة كتبها، حتى عندما يكتب في الحب أو الفرح. ظلّ الحزن يخيم عليه ويعمق إحساسه بأزمة الوجود فنجدته يترجم تلك الغربة وما يغلفها من الحزن حين يقول:

منظرحاً أمام بابك الكبير
أصرخ، في الظلام، أستجير
يا راعي النمل في الرمالِ
وسامع الحصاة في قرار الغدير
أصيح كالرعود في مغاور الجبال⁷.

وفي قصيدة أخرى يشده الحزن إلى الوطن بعد أن قست عليه الغربة وتعذر عليه العودة إليه فراح ينشد باسمه وهو نابع من حزن التشرد الذي له وقع خاص بالنفوس المضطّهدّة فيقول:

⁵ حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، أدب النهضة الحديثة، دار الجليل، بيروت 1985، ص. 726.
⁶ الطاهر أحمد مكي، الشعر العربي المعاصر، روائعه ومدخل لقراءته، دار المعارف، ص. 231. قصيدة تحمل عنوان "نفسٌ وقبر".
⁷ بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، قصيدة أمام باب الله، دار العلم للملايين، بيروت 1968، ص. 32. مقطع من قصيدة كتبها بتاريخ 1961/08/26.

لأني غريب
لأنّ العراق الحبيب
بعيد، وأني هنا في اشتياق
إليه، إليها.. أنادي: عراق
فيرجع لي من ندائي نحيب
تفجّر عنه الصدى
أحسّ بأني عبرت المدى
إلى عالم من ردى لا يجيب.⁸ . ندائي.

مَنْ غير السياب قادرٌ أن يفجر هذا المقدار من الألم في قصيدة ينادي بها وطنه العراق من على شواطئ الكويت أو بيروت!... لا يفصله عن بلده سوى مرمى حجر. بيد أن السياب جعل بينه وبين وطنه العراق برزخاً مكانياً وزمانياً غير قابل للعبور.
ويبدو أن السياب لا ينادي العراق، وأن الصوت الذي تفجّر في قرارة نفسه التكلّي.. كان صوتاً مضمراً في أعماق نفسه منذ أن خسر حضن أمه. . العراق، ليس أكثر من تلك الأم الشابة التي أخذها منه الموت. . وكفنها في برزخ من تراب.
في قصيدة "غريب على الخليج"، منذ البدء، ومنذ أن وضع السياب رجله على رمال الخليج. فإن الريح تنذره بالرحيل ولكن لماذا الرحيل؟ حقاً إنّها تراحيديا الألم التي تلوح في مأساة الموت. هناك المدّ يصعد كالسحابة، كالدموع، والريح تصرخ أيضاً. فالموت حال بين السياب وبين سعادته، وها هو البحر يمنعه من أن يعود إلى وطنه العراق.
كما هجره والده إلى حضن امرأة غريبة، فقد نبذه وطنه كمعارض متمرد على قوانين السلطة الظالمة،⁹ وليس بعيداً أن تكون السلطة السياسية الفاسدة التي تمرد ضدها السياب تحمل في طياتها العميقة سلطة الأب الظالم الذي تخلى عن مسؤوليته في حماية ولده السياب وأخويه الشقيقين.

السياب وانتمائه الحزبي

إن انتماء السياب إلى صفوف الأحزاب المعارضة العراقية في أربعينيات القرن المنصرم،¹⁰ وهو في دار المعلمين العالية في بغداد، يكتنز سببه بدوافع لا شعورية عميقة التي ترسخت في نفس السياب ضد والده، ذلك الإقطاعي البغيض. فكما عاش السياب يتيماً، حافياً، عارياً، يلهو فوق ضفاف نهر البويب في قرية جيكو.¹¹ فراح يبحث عن تحقيق آماله وأحلامه، ويحس بما يعانیه من غربّة الأهل والوطن. فلم يجد من حوله سوى الأحزاب

⁸ نفس المرجع، ص. 122. كتبت القصيدة في بيروت في 1962/04/15.

⁹ انظر: حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص. 227.

¹⁰ انظر: بدر شاكر السياب، أنشودة المطر (1960)، نشر مؤسسة الهمداني، بغداد 2019، ص. 63.

¹¹ مجد خضر، أدباء وشعراء، قصيدة أنشودة المطر، دار النشر، بغداد 2020، ص. 30.

المعارضة، التي راح يتوسم من خلالها أفكاره وما يربو إليه. فما كانت النتيجة إلا وهو غربياً فوق رمال الكويت حافياً عارياً منبوءاً ومطارداً، معادياً لقيم مجتمع إقطاعي سيئ. وعرف عنه نشاطه بنضاله الوطني في الدفاع عن القضية الفلسطينية إضافة إلى المطالبة بتحرير العراق من نير الاستعمار البريطاني¹² وقد ترجم حالته حين يقول:

شوقٌ يخضُّ دمي إليه. ... كأن كل دمي اشتهاه
جوع إليه. ... كجوع كلِّ دم الغريق إلى الهواء
إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون !
أيخون إنسانُ بلاده؟
إن خان معنى أن يكون
فكيف يمكن أن يكون ؟
الشمس أجمل في بلادي من سواها
والظلام حتى الظلام هناك أجمل، فهو يحتضن العراق
وا حسرتاه متى أنام ؟
فأحسُّ أنّ على الوسادة.

من ليلك الصيفي ظلاً فيه عطرك يا عراق !
فأنا المسيح يجزُّ في المنفى صليبه
ما زلت أضرب مترب القدمين، أشعث في الدروب
تحت الشمس الأجنبية
متجافي الأطمار، أبسط بالسؤال يداً ندية
صفاء من ذلٍّ وحمى، ذل شحاذٍ غريب، بين العيون الأجنبية
بين احتقار، وانتهار، وازورار.. أو خطية
والموت أهون من خطية.¹³

سيرة حياته

تطرق المؤرخون لسيرة السياب حيث أن حياته قد مرت بمراحل متداخلة، فقد بدأ السياب سيرته الأدبية بالطور العاطفي أو الرومانسي، وذلك منذ عام 1943 حتى عام 1948¹⁴ ثم جاء الطور الواقعي وذلك منذ عام 1949 حتى عام 1955.¹⁵ ثم انشغل بالشأن السياسي في عام

¹² حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص. 725.

¹³ بدر شاكر السياب، ديوان السياب، ج1، ص. 231-232.

¹⁴ بدر شاكر السياب، كتاب أزهار وأساطير، مؤسسة هنداوي، بغداد 2019، ص. 16. لبدر شاكر السياب ديوان في جزئين نشر في دار العودة، بيروت 1971.

¹⁵ نفس المرجع.

1956¹⁶ حتى عام 1960. وأخيراً عاش معاناة العودة إلى الذات وذلك منذ عام 1961 حتى عام وفاته في كانون الأول عام 1964.¹⁷

من المؤكد أن هذا التقسيم لسيرة السياب كان تقسيماً افتراضياً، بل هو تقسيم اعتباطي ليس أكثر. فمتى تخلص السياب من معاناته العاطفية؟ ومتى تشافى من داء غرامياته الرومانسية البائسة؟ لا يمكن أن نتفق مع مؤرخي سيرة السياب على تلك الفرضية المجردة، اللهم إلا إذا أردنا أن نفترض أن تلك الأطوار لتيسير دراسة حياة السياب. إنَّ العامل العاطفي والسياسي ومعاناة الذات، جميع تلك العناوين لم تنفصل يوماً واحداً في حياة السياب. ففي طور علاجه في لندن كانت الحسرات، الإخفاق، وآهات الألم تصدر من أعماق نفسه الجريحة حين يعبر عنها بقوله:

أُصرخُ في شوارع لندنَ الصمّاءِ: "هاتوا لي أحبائي"
ولو أني صرخت فمن يُجيب صراخَ منتجر
تمر عليه طولَ الليلِ آلافٌ من القُطرِ؟¹⁸

كان السياب على فراش المرض، وهو يلهث عاطفةً وشوقاً لأي أنثى تمر قربه. ففي أي زمن تخلى عن عواطف قلبه كي يتفرغ لطورٍ جديدٍ في حياته؟ ... هيهات. كل ذلك مجرد وهم ينتاب المؤرخين. ونستدل على ذلك من قصيدته التي عنوانها ليلي:

وخلّني أتملى طيف أهوائي	قرّب بعينيك مني دون إغضاء
عينيك دنيا شمس ذات آلاء	أبصرتها؟ كادت الدنيا تفجر في
عينيك يضحك أزهاراً لأضواء	أبصرت ليلي فلبنان الشموخ على
يقبل القمر الفضي في الماء	إني سألثمها في بؤبؤيك كمن
وكاد يفلت من كفي بالداء	ليلى! هواي الذي راح الزمان به
وعفّتها تاج أتيه به بين الأخلاء	أختي التي عرضها عرضي
كأن في مقلتيها درب إسرائي. ¹⁹	عرفتها فعرفت الله عن كثب

من العجب أن أطباء السياب أعلنوا مراراً أن داء السياب لا شفاء له، وأن لحظات الموت تقترب كل يوم مسافة أدنى إلى قلبه. مع كل هذا الألم واليأس يخفق قلب السياب بقوة لا تصدق. يخفق بحب ليلي، تلك الممرضة الشقراء التي أشرفت على العناية به في مستشفى بيروت، ربما كانت تشفق عليه (وهو الأرجح)، في ساعات أو أيام الموت الأخيرة. لم يكن

¹⁶ نفس المرجع، ص. 17.

¹⁷ نفس المرجع، ص. 18.

¹⁸ حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص. 725.

¹⁹ انظر: عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، مذكراته وسيرته الذاتية، دار النهار للنشر، بيروت / لبنان 1971،

السياب يبالي بنهايته التعيسة، بل كان قلبه يخفق على أنغام وتخيلات قصائد الخمريات لأبي نواس:

دَع عَنكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِأَلْتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْرَانُ سَاخَتْهَا لَوْ مَسَّهَا حَجْرٌ مَسَّتُهُ سَرَاءُ.²⁰

لم يكن السياب يبالي بنهايته التعيسة بل كان قلبه يخفق على أمل العيش والاقتراب من حبيبته ليلى حين يقول:

ليلى مَنَادٍ دَعَا لَيْلَى فَخَفَ لَهُ نشوان في جنات القلب عريبيدُ
كسا النداء اسمها سحراً وحببه حتى كأنَّ اسمها البشرى أو العيْدُ
هل المنادون أهلها وأخوانها أم المنادون عشاق معـاميدُ.²¹

تصنيف حياة السياب الأدبية

يمكننا إعادة النظر في تصنيف حياة السياب وفقاً للسياقات التاريخية، حتى ننظر من زوايا مختلفة في شخصية السياب وذلك على ضوء ما يلي:

الطور الأول وقد تمثل به انبثاق ذات السياب الشعرية. في بدايات الحرب العالمية الثانية، كانت البداية في ظهور مواهبه الشعرية، حين كان العراق وهو جزء من الأمة العربية، يعاني في خضم التقلبات السياسية، فكان له التأثير المباشر في دفع السياب إلى المشاركة وترجمة ما يجوش في نفسه من مشاعر وطنية. حين راح يترجم مشاعره على الورق فيقول:

عيناى تُحرقان غابة الظلام
بجمرتيها اللتين منهما سقرُ
ويفتح السَهْرُ
مغالق الغيوب لي. فلا أنام.²²

الطور الثاني. والذي خاض من خلاله تجربته السياسة بانتمائيه إلى المعارضة الوطنية، فقد عبر عن تلك الحقبة وهي مستمدة من الواقع المأساوي بقوله:

²⁰ ديوان أبو نواس هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول الصباح الحكي المنحجي ولد عام 139هـ/756م، وهو أحد أبرز الشعراء العرب في العصر العباسي. محمود كامل فريد، المكتبة التجارية، القاهرة 1356هـ/1937م، ص. 80-97.

²¹ عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، دار النشر، بيروت/لبنان 1971، ص. 211-212. هذه القصيدة كتبها في سنة 1964 وهو يترقد في مستشفى الأميري في الكويت، بعد أن حمل له صديقه تحيات من ليلى إليه. وقد سمى القصيدة باسمها "الليلى".

²² بدر شاكر السياب، ديوان إقبال، دار الطليعة، بيروت 1965، الطبعة الأولى، ص. 43.

عصافير أم صبية تمرح
أم الماء من صخرة ينضحُ
وأقدامها العارية
مصاييح ملء الدجى تلمح.²³

الطور الثالث والذي تجسدت به المآسي التي عاشها حتى نهاية عمره. متمثلة بفقدان جدته وأبيه حيث قال:

أيها القبرُ كن عليها رحيماً
أيها القلبُ هل تلامُ شمالي
لا تلمني فلستُ قد علمَ
مثلما ربّت اليتامى بلين
والتي تفعل الذنوب يميني؟
الله أرد القضاء لو يأتيني.²⁴

ففي هذه الأطوار الثلاثة التي مرّ ذكرها آنفاً، تمثل العاطفة المشوبة والمشدودة بالحبل المتين الذي يشدّ شخصيته إلى وحدتها الكلية. العاطفة الرومانسية أو الشبقية، هي المحور الأساسي الذي تدور حوله شخصية السياب في كل مراحل نموها وتغيرها عبر السنين، وهي البؤرة والمركز الذي تنتهي إليها كل الخطوط والأقطار التي تمثل محاور الدائرة وعلى نفس التفعيلة الراقصة وبنفس القافية. لكن غيّر السياب بناء القافية نحوياً فقط. مع ذلك يبقى السياب أصلبُ عوداً، وأشدّ شكيمة من أبي نواس غير أن أبي نواس أعظم في القصيدة الشعرية وأشدّ مراساً في تطويع اللغة.²⁵

السياب بين التشكل والتمزق

منذ البدء ولّد التمزق في السياب، ومنذ أن فقدَ أمه الحبيبة وابتعاد أبيه عنه بعد أن اقترن بزوجة ثانية ومن ثم فقدانه لجدته أم أمه التي كانت تعطف عليه وتغمره بحنانها وهو في ريعان الصبا. لقد بدأ الموت قصته مع السياب، غير أن للسياب إرادة لا تلين، وقوة معنوية لا تصدق، وعز وصبر. لقد واصل الطريق بوحدته متلمساً جراحه بيده حين يقول:

لا يشتكى لله محنته؟
فبأيّ أمالٍ أعيش إذن
لولا مخافة أن يعاقبني
إرجع لبيتك دون إبطاء
وأدبُ حياً بين أحياء
عدلُ السماء لعنتُ آبائي.²⁶

²³ نفس المرجع، ص. 11.

²⁴ نفس المرجع، ص. 79.

²⁵ سلمان آل طعمة، رواد الشعر الحر في العراق، دار البلاغة 2002، الطبعة الأولى، ص. 21.

²⁶ بدر شاكر السياب، قصيدة نفس وقبر، ج2، ص. 453. وقد كتبها وهو راقد في المستشفى الأميري في الكويت

في 1964/11/10.

وعلى إثر ذلك تحول شعره إلى مرثية مريرة للنفس، وجعلهُ صورةً للبحث عن شيء ضائع وإلى الأبد. استقطاب التجارب مجتمعة بعد إخفاق إثر إخفاق. البحث عن الزمن الضائع إلا حين يصطدم بحب من يسميها المنتظرة، وحين وجدها وفقدها حينئذ فقط ارتسمت المسافة المديدة بينه وبين الدنيا التي تستطيع أن تنقله عاشقاً أو معشوقاً أو طفلاً في حاجة إلى الحنان. فأخذ يمشي وهو مسرّ القدمين، ليعبر ذلك الجسر الذي يفصل أو يصل بينه وبين تلك الحياة.²⁷

لقد آمن السياب بأنه ينتظر امرأة ما، وضع في ملامحها كل المثل العليا عن الجمال، وأثنت قلبها بكلّ حدائق الرحمة. فكأما فشل في تجربته العاطفية، عاد إلى صورة المنتظرة يرمم بها ذاته فيقول:

ديوانُ شعرٍ ملوهُ غَزَلُ بين العذارى باتَ ينتقلُ
أنفاسي الحرى تهيم على صفحاته والحبُّ والأملُ.²⁸

في الواقع لم تكن صورة المرأة المنتظرة في خيال السياب امرأة حقيقة ذات أبعاد أنثوية، بل لعلها كانت آمال السياب الضائعة، أو ربما كانت الحياة نفسها التي تلقي منها ضربات موجعة. وقد تكون المنتظرة كذلك، صورة لا شعورية لذكريات والدته العزيزة التي فقدتها مبكراً، وظل ينتظر عودتها حتى بعد أن أصبح رجلاً.

كانت عاطفة السياب المشوبة والملتهبة والتي يتوجها الحرمان والفشل العاطفي المزمن، أساساً وسبباً لتمزقه الداخلي كلما عاش السياب تجربة حب فاشلة وما أكثر التجارب العاطفية الفاشلة في حياته كلما تعمقت أزمتة النفسية أكثر وزادت غربته عن عالم لا يريد أن يعطي للسيباب أبسط حقوق الحياة وهي الحاجة إلى الحب والعاطفة، ولهذا نجده يذكر حالته في قوله:

وما من عادتي نكران ماضي الذي كانا
ولكن . كل من أحببت قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ عشقت سبعاً كن أحيانا
ترفت شعورهنّ عليّ، تحملني.
سفائن من عطور نهودهن، أغوص في بحرٍ من الأوهام
والوجد
فألتقط المحار أظنُّ فيه الدرّ ثمّ تضلّني وحدي.²⁹

²⁷ راجع: إحسان عباس، بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، المؤسسة للدراسات والنشر 1992، ط6، ص. 43.

²⁸ طاهر أحمد مكّي، الشعر العربي المعاصر - من ديوان بدر شاكر السياب - روايته ومدخل لقراءته، دار المعارف، القاهرة 1980، الطبعة الأولى ص. 226.

²⁹ إحسان عباس، بدر شاكر السياب، ص. 41.

بناء القصيدة عند السياب

من الواضح أننا لن نعثر على شاعرية مؤثرة في بناء القصيدة من الناحية الفنية واللغوية. فهو كما فشل عاطفياً في ترويض قلب المرأة التي أحبها لكنه ربما لم يفشل في ترويض مقاومة اللغة لأغراضه ومعانيه. فانكسار السياب العاطفي يدفعه إلى التركيز على استجداء العطف واستدراجه دون أن يبالي كثيراً ببنية اللغة الشعرية و الجمالية.

لقد عشق السياب حتى ذلك اليوم سبعاً³⁰ ولم تحببه واحدة منهن ولم تعطف عليه. عاطفة السياب التي لم تكتمل بتجربة عاطفية واحدة، ظلت كجرح نازف وهو يشرف على الهلاك. كان السياب يعاني تمزقاً عاطفياً عنيفاً بسبب جرحه الأصلي المتمثل بخسارته لقلب أمه. والسياب لم يستطع أن يرأب الصدع الذي انفطر داخل قلبه أبداً، فظل يبحث عن امرأة تملأ الفراغ الكبير في داخله. وباستمرار كان السياب يخفق المرة تلو الأخرى.³¹ إن يبايع رغباته التي لا تنتهي تدور حول ذاتها بعنف لا ينضب وكانت حالته هذه عاملاً دافعاً في الإبداع الشعري والأدبي، فما كان إلا أن يولد الطاقة النفسية التي تمكنه من أن يستمر رغم الصعوبات. فقد ترجم تلك المشاعر في قصيدته التي تحمل عنوان "حقائق كالخيال" فيقول:

قد حاش زهر الخطايا حين لاقاها
في باقة من جراح بيتٍ أصلاها
ريح المنايا إلى القلب برياًها.³²

ماذا تريد العيون السود من رجلٍ
زهراً على جسمي المحموم أقطفه
هذا الربيع الذي نهدي شقائقه

تطور حياة السياب الشعرية

سبق وأن ذكرنا أن بدر شاكر السياب عاش في كنف عائلة ميسورة، تمتلك الحقول الزراعية الخصبة، لكن اتجاهاته وميوله الأدبية جعلته ينحل مسلماً خاصاً به حيث بدأت حياته الأدبية زاخرة بالتأليف والإنتاج لمؤلفاته الأدبية والشعرية. ويعتبر من أكثر الشعراء فيضاً وغازرة، وذلك نتيجة لتجاربه في حياته القاسية، مما ولد في نفسه نبضات الوجدان النابعة من نفس صادقة. لقد امتلك بدر شاكر السياب ذوقاً إبداعياً، حيث استطاع أن يتماشى مع ذوق الجمهور، حين استطاع أن يقرأ عواطفهم ورغباتهم وأحاسيسهم، بلباقته ومهارته وكياسته، حتى وصف من قبل النقاد بصاحب أسلوب وذوق رفيعين. وقد عرف واشتهر بالرومانسية الخاصة به.³³

³⁰ بدر شاكر السياب، اقبال، ص. 9.

³¹ عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب، دار النهار، بيروت /لبنان 1971، ص. 72.

³² بدر شاكر السياب، ديوان السياب، ج4، ص. 154-255.

³³ انظر: الطاهر احمد مكي، الشعر العربي المعاصر - روائعه ومدخل لقراءته (الرومانسية هي الفن الذي يقدم للناس الأعمال الأدبية التي ينتظر أن تمنحهم أكبر متعة ممكنة) ص. 40.

لقد دعا بدر شاكر السياب إلى الشعر الحر الذي يكون خالياً من القواعد وحتى من علامات الترقيم، متحدياً بذلك كل الذين ينادون إلى الحفاظ على الشعر العربي التقليدي المبني على القافية.³⁴ واتجه به إلى موضوعات ذات طابع عصري، يعبر من خلالها عن الحياة الحديثة وبهجتها. وقد ألغى النعوت لأنها تعيق الفكر الإبداعي. فنجده يعبر عن المشاعر والخيال والأفكار، حتى أصبح شعره يعنى، وهو يمثل مشاعره وانطواءاته وحزنه الذي لا يفارقه في كل مراحل حياته. فقد تميز شعره بالمرونة، لكونه يأتي وليد اللحظة مصحوباً بالخيال والعاطفة، وبشحنة توفد مشاعره وأحاسيسه وعطشه إلى الحب.

فأول كتاب صدر له في عام 1947م يضم في طياته قصائد شعرية (من الشعر الحر) يحمل عنوان "أزهار ذابلة" يليه ديوانه الذي نشر عام 1950 بعنوان "أساطير" وفي عام 1952 صدر له ديوان يحمل عنوان "حفارة القبور" وفي عام 1953 صدر ديوانه بعنوان "منزل الأفتان" يليه عام 1954 ديوان بعنوان "المومس العمياء" وبعد ذلك وفي عام 1956 طبع ديوانه "أنشودة المطر" وفي عام 1963 صدر له ديوان يحمل عنوان "سناشيل ابنة الجليبي" وفي سنة 1971 صدر له ديوان "قيثارة الريح" وآخر مؤلفاته من الدواوين الشعرية قبل رحيله ديوانه بعنوان "أعاصير" ليطلع بعد موته في سنة 1974.

من هنا يتضح أن حياة بدر شاكر السياب لم تنته دون أن يضع لها بصمته في محافل الأدب واللغة. وليكون له منعطف كبير في مجال الأدب الذي ابتدع له طريقة جديدة في نظم الشعر العربي، الذي عرف بالشعر الحر. فكان له الدور الكبير في تطويره وتحديثه والدفاع عنه أمام الهجمات التي شنت ضده من قبل أدباء وشعراء ونقاد شعر القافية.³⁵ فكان سبباً في قيام نقاش وجدال شديدين بين أنصاره الذين يؤيدون الشعر الحر، وبين معارضيه.³⁶ فقد استطاع في إبداعاته الشعرية المتمثلة بقصائده، أن يزواج في الحركة الشعرية بين الشعر الحر والشعر العمودي، والتقاليد الموروثة. وبذلك أوجد عاملاً مهماً في ازدهار الحركة الشعرية، وحقق تقدماً ملحوظاً في قبول الشعر الحر في أوساط المؤيدين والمعارضين. الذين راحوا يتحاورون عن هذا اللون من الشعر الذي ليس له قافية واحدة، ولا يمكن جمعه ببحر من بحور الشعر المتعددة.

اعتبر بدر شاكر السياب أول من نظم الشعر الحر في العراق،³⁷ حيث أبداع في هذا المجال و انتقل بتجربته الجديدة، بعد أن فند ادعاءات أعداء الشعر الحر المتمثلة، بأن هذا النوع من الشعر خال من الموسيقى، بعيداً عن النغم.³⁸ حاول بدر شاكر السياب أن يدمج بين القضايا الإنسانية،³⁹ وركز في ما يخص القضايا العربية، وبالتحديد ما يدور في المجتمع العراقي، الذي عاصره واحتك معه سواء كان في

³⁴ أحمد ابو بكر الجودة وعبد الله الشحام، الإشكال المصطلحي في نقد الشعر الحر، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الأدب والعلوم الإسلامية، المملكة العربية السعودية 2016، ص. 59.

³⁵ راجع: يوسف الصانع، الشعر الحر في العراق منذ عام 1958، دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006، ص. 20.

³⁶ انظر: سلمان عبد الهادي آل طعمة، دراسات في الشعر العراقي الحديث، دار البيان العربي للطباعة والنشر، ص. 49.

³⁷ انتظر: سلمان عبد الهادي آل طعمة، ص. 51.

³⁸ انظر: أحمد أبو سعد، الشعر والشعراء في العراق، بيروت 1959، ص. 25.

بغداد أو البصرة، متفاعلاً معه ناقلاً وبصورة فنية ودقيقة مأسية ومعاناته وآلامه، محاولاً أن يستنهضها وينتشلها من وحل التخلف والظلم والاستبداد معتمداً على إمكانياته الأدبية، ومستغلاً مواهبه الشعرية، التي من خلالها استطاع أن يتلاعب بالألفاظ، مكوناً من خلالها ليُخرج ما يجوش في خاطره من أحاسيس ومشاعر وعواطف. فيقول:

قفي، لا تغربي، يا شمس، ما يأتي مع الليل
سوى الموتى.
فمن ذا يرجع الغائب للأهل
إذا ما سدَّت الظلماء
دروباً أثمرت بالبيت تطاول المحل⁴⁰؟

إضافة إلى ما ذكر، فقد أنحى السياب في شعره بشمول الكون في مضامينه ومعانيه المفعم بالإنسانية،⁴¹ التي لا تتجزأ، حين تشمل المشاعر الإنسانية بغض النظر عن الانتماء الوطني أو القومي. فهو ينشد للإنسان مطالباً برفع الحيف والظلم عنه، وإعطائه كل الحقوق في العيش الكريم، دون استغلال أو طبقة فيقول:

العالم يفتح شبابه
من ذاك الشباك الأزرق
يتوحد، يجعل أشواكه
أزهاراً في دعة تعبق.
شباكٌ مثلك في لبنان
شباكٌ مثلك في الهند
وفتاة تحلم في اليابان.⁴²

إن هذا التفكير لم يأت من فراغ بل جاء من فلسفة تؤكد أن الثقافة، وهي ثقافة المساواة بين البشر، مهما اختلف الإنسان من حيث اللون أو العرق أو الموقع الجغرافي الذي نشأ فيه وعرف من خلاله.

لقد كان للوضع السياسي العربي عموماً وفي بلده العراق خصوصاً، وهو انعكاس على ما تعانيه الشعوب في أقصاء الأرض من مشارقها إلى مغاربها، حيث ترك في نفس السياب تأثيراً كبيراً، خاصة لما لمس من فوارق اجتماعية. حيث عرف أن السلطة هي التي تورث المال، وأن المال هو الذي يدعم السلطة والسلطان. إذ يحق للبعض أن يملكوا كل شيء، المال

³⁹ محمود العبطة، بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق، بغداد 1960، ص. 112.

⁴⁰ بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، دار العلم للملايين، بيروت 1968 (قصيدة بعنوان الأم والطفولة الضائعة)

ص. 59.

⁴¹ قيس كاظم الجنابي، مواقف في شعر السياب، بغداد 1988، ص. 89.

⁴² نفس المرجع، ص. 9.

والسلطة والجاه والقوة والأرض. فإن هذه الفئة تأكل أكثر مما تنتج. عندها راح يسأل نفسه هل هذا الطبقات الاجتماعية بأنظمتها قد خلقها الإنسان؟، أم هي قدر المسحوقين أن يعانون من الحرمان بسببهم وما يملكون من قوة في إجبارهم على الانصياع لهم؟ وقد عبر عن مشاعره بقوله:

من جوع صغارك يا وطني، أشبعت الغرب وغربائه.
صحراء من الدم تعوي، ترجف مقرورة
مرابط خيل مهجور
ومنازل تلهث، أوها
ومقابر ينشج موتاهها
ويقول في قصيدة أخرى:⁴³
فأصرخ " في سبيل الله "تخنق صوتي الدمعة
بخيط الملح والماء.
وأنت على فمي لوعة
وفي قلبي، وضوء شعّت خبا بلا رجعة.⁴⁴

عرف عن بدر شاكر السياب وقوفه مع الطبقات الفقيرة في المجتمع، ومعارضته لكل قوى التي تملك سلطة الجاه والمال من الإقطاعيين ومن يسير بمنهجهم. وعلى إثر ذلك اختاره الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري ليعينه محرراً ومترجماً في جريدة الثبات.⁴⁵ كتب السياب قصيدته التي تترجم الخط الذي ينتهجه والذي يؤمن به، وفيها يعلن تمرده ضد الظلم والإقطاع، الذي وجد والده كنموذج لذلك حين يقول:

سألقاك أين الزمان الثقيل
سينهاز عن مُقلتيك الجدار
ولا بدّ من ساعةٍ من مكان
إذا ما التقينا وأين العذاب؟
وتفنى ذراعاً أبي كالضباب
لرُوحين ما زالتا في ارتقاب!⁴⁶

من خلال هذه القصيدة يعلن موقفه ضد والده، الذي تتجسد فيه كل صفات الإقطاعي الظالم. حيث أنه لم يلمس منه الحنان المعهود في كلمة الأب. حيث تخلى عن مسؤوليته الأخلاقية اتجاه الأيتام الصغار.

⁴³ نفس المرجع، الأم والطفلة الضائعة، قصيدة كتبها في مدينة البصرة بتاريخ 1961/10/06.
⁴⁴ بدر شاكر السياب، ديوان المعبد الغريق (حينين في روما - قصيدة كتبها بتاريخ 1961/10/19، بيروت 1968، ط2، ص. 53.
⁴⁵ انظر: عيسى بلاط، بدر شاكر السياب، ص. 63.
⁴⁶ ديوان السياب، قصيدة بعنوان "سجين"، ج1، ص. 91-92.

يرى المؤرخ والناقد إحسان عباس (هذه القصيدة معلّم هام في حياة السياب النفسية، إذ فيها يعلن الثورة على الأب دون موارد أو رمز، وهي مقدمة لقصيدة حفار القبور، حيث الثورة على الأب تتسم بلباقة الرمز والكناية) فيقول:

أما تبصرين الدخان الثقيل
تلوى فأبصرت فيه الظهور
وأبصرت فيه الحجاب الكثيف
يجرّ الخطى من فم الموقد
وقد قوستها يدُ السيد
على جبهة العالم المجهد.⁴⁷

السياب في أيامه الأخيرة

لو أمعنا النظر جيداً، وتأملنا سيرة حياة السياب بموضوعية، فقد نجد أن السياب في أخريات أيامه، كان منشغلاً بذاته أو معاناته الشخصية أكثر من أي قضية أخرى. فهو لا يرى العالم إلا من خلال مأساته الشخصية. فكل انتماءاته السياسية لم تكن انتماءً أصيلاً كما يبدو، فقد نراه منشغلاً بالشعر أو بأهواء قلبه أعظم من أي انشغال آخر.
إن المرض الذي داهمه وبدت علاماته تظهر على وجهه الشاحب، وجسده الضامر، أثر بعلاقته مع الله بصورة واضحة. وتجسد ذلك في قصيدته مرثية الإله. فقد اعتقد السياب، أن الإنسان منذ القدم كان يعبد ما يخافه ويرجوه. فلما اشتد عليه المرض وحاصرته المصائب كتب قصيدته قائلاً:

لك الحمد مهما استطل البلاء
ومهما استبدّ الألم
لك الحمد إن الرزايا عطاء
وأن المصيبات بعض الكرم
إلى أن يقول:
ولكن أيوب إن صاح صاح
لك الحمد إن الرزايا ندى
وإن الجراح هدايا الحبيب
أضمُّ إلى الصدر باقاتها
هداياك في خاقي لا تغيب
هداياك مقبولة. ... هاتها.⁴⁸

⁴⁷ إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، ص. 69-70.
⁴⁸ سفر أيوب، ديوان بدر شاكر السياب، ص. 192. كتبه في لندن في 1962/12/26 بعد أن تجدد الأمل في نفسه بأن يناله الشفاء.

نجد في هذه القصيدة تحمل في طياتها عمقاً صوفياً، عبّر عنه السياب وأخرجه من أعماق قلبه، وبدفعة واحدة. وهذه القصيدة الوحيدة التي تفوح منها معاني التصوف في الحب الإلهي. وهذا اللون من القصائد لا نجد له أدنى أثر في ديوانه إلا في هذه القصيدة. مستمداً المعنى من قوله تعالى: "وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"⁴⁹. لم يكن التقرير الطبي عن صحة السياب إيجابياً، فقد تبين بأن حالته المرضية ميؤوس منها وأن حياته مسألة وقت. ومن المؤلم حقاً أن ينتظر إنسان يوم رحيله، وأن شبج الموت أخذ يقترب شيئاً فشيئاً ولا فرار من مصيره، مما دفع السياب بأن يكثر في قصائده مفردة الموت:

ما أخيب الموتى إذا رجعوا إلى الدنيا القديمة
وتلصصوا يتطلعون كما تطلع من كوى دارٍ شريدٍ
ما أخيب الموتى ! تكاد تحيل موتهم الهزيمة
ما أخيب الموتى ! تعيّر كل شيء، كل باقٍ
مما أطل على الحياة لأنهم كانوا كواه.⁵⁰

لقد جف نهر عطاء بدر شاكر السياب الأدبي بعد أن أفاضت روحه في المستشفى الأميري في دولة الكويت في يوم 24 كانون الأول عام 1964.⁵¹ مخلفاً وراءه دواوين في الشعر الحر، التي أثرت المكتبات الأدبية. ولم يخمد صداها إلى يومنا هذا. حيث تنبأ بما تكمن له الأيام من خلود في الأوساط الأدبية، وحتى الشعبية منها، فقد صرح في قصيدته التي يقول فيها:

سهرتُ فكل شيءٍ ساهراً: قدامي والمصباح وأوراقِي
أنا الماضي الذي سدّوا عليه الباب، فالألواح
غدي والحاضر الباقي.
أنا الغد في ضمير الليل، مدّ الليل ألف جناح.⁵²

الخاتمة

لقد أبهر بدر شاكر السياب الأوساط الأدبية في داخل العراق وخارجه من غزارة إنتاجاته الأدبية بصيغتي الشعر القريض والحر. والتي كانت العامل المساعد في غزارة نتاجاته الأدبية ومن خلال هذه الدراسة نستطيع أن نصل إلى أن السياب لم يصل إلى هذه المرتبة الأدبية الرفيعة بدون أسباب ذاتية وخارجية فرضت عليه.

⁴⁹ القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 83.

⁵⁰ بدر شاكر السياب، المعبد الغريق، ص. 85-86.

⁵¹ سلمان هادي آل طعمة، رواد الشعر الحر في العراق، بيروت 2002، ص. 20.

⁵² بدر شاكر السياب، ديوان المعبد الغريق، بيروت، ص. 148. قصيدة عنوانها "سَهْرٌ".

أما الأسباب الذاتية، فقد كان لا يملك من مواصفات الجمال الكثير بل كان مصدر نفور لكل من تقدمت إليه من الفتيات. وكثرة المتنדרين من حوله سواء من الذين كانوا معه في الجامعة أو العمل.

والأسباب الخارجية التي كانت بمثابة البركان الذي فجر فيه طاقات كبيرة وبديعة، والمتمثلة برحيل أمه مبكراً، وأعقبها رحيل جدته، وحلول زوجة أبيه محل أمه. مما كان السبب المباشر لجفاء أبيه وبعده عنه، إضافة إلى قساوة المجتمع عليه وملاحقة الظلم له. والسبب المهم هو انتمائه السياسي وشعوره الوطني تجاه وطنه العراق، وظلم المحتل وقساوته على أبناء شعبه من جهة، ومن جهة أخرى ما يعانیه إخوته العرب وخاصة الشعب الفلسطيني من ظلم وتهجير وتكثيف وسلب للأراضي.

هذه العوامل القاسية إضافة إلى موهبته الشعرية، جعلت منه شاعراً فحلاً، يترك بصماته في ميادين الشعر ويبدع في إنتاج شعر خاص به تطلق عليه تسمية الشعر الحر، بمساعدة ومشاركة بعض الشعراء وعلى رأسهم الشاعرة العراقية نازك الملائكة.

إن بحثنا المتواضع لم يكن الأول ولا الأخير في هذا الشاعر الكبير، لكننا اختصرنا البحث في خاصية واحدة هي "توظيف الأسطورة في شعره".

حيث تمثلت من الابتعاد عن الوطن الأم، والوحدة والحاجة إلى أنيس وشريك في حياته القاسية إضافة إلى الغربة التي أمليت عليه وليس بمحض إرادته. كل هذه الظروف ساعدت في أن يعبر عن أحاسيسه وما يدور في خلجاته، ودخوله بحلبة التصوف فكانت بمثابة أسطورة تجسدت بقصائده وإبداعاته الشعرية. فوجد أن الشعر العمودي لا يساعده على الإفصاح عما يعانیه، فابتدع نوع خاص به هو الشعر الحر، الذي اكتشف من خلاله أنه قد تحرر من الموروث السابق، المتمثل بالقافية والالتزام ببحوره الشعرية.

إن الظروف العائلية والاجتماعية والعوز الذي كان يعاني منه سواء على الصعيد العاطفي أو المادي، واللذان كانا سبباً في أوقاعه في برائن المرض الذي كان له الأثر الكبير والسبب المباشر في رحيله مبكراً. مما حرم الوسط الثقافي والأدبي الحصول على مزيد من نفائسه الشعرية، والتي من خلالها عرف اسم بدر شاكر السياب شاعراً معاصراً نأمل من المتخصصين أن يكملوا الحلقات الدراسية في إبراز واكتشاف جوانب أخرى من أهميته كإنسان ومن موهبته كشاعر، ومحاولة لسد الثغرات التي يعاني منها الباحثون لكي تعزز المكتبات العامة بما يحتاجه عشاق الشعر الحر ومتذوقوه وأنصاره.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إحسان عباس، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، المؤسسة للدراسة والنشر، بيروت 1992.
أحمد أبو بكر الجودة، الإشكال المصطلحي في نقد الشعر الحر، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد 23، المملكة العربية السعودية 2016.

أحمد أبو سعد، الشعر والشعراء في العراق، بيروت 1959.

الطاهر أحمد مكي، الشعر العربي المعاصر، روائحه ومدخل لقراءته، دار المعارف، القاهرة 1980.

- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، مؤسسة هنداوي، بغداد 1960.
- بدر شاكر السياب، أزهار وأساطير، مؤسسة الهنداوي، بغداد 2019.
- بدر شاكر السياب، ديوان السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الحياة، بيروت 1998.
- بدر شاكر السياب، ديوان إقبال، دار الطليعة، بيروت 1965.
- بدر شاكر السياب، قصيدة نفس وقبر، الكويت 1964.
- بدر شاكر السياب، قصيدة سفر أيوب، لندن 1962.
- بدر شاكر السياب، ديوان المعبد الغريق (قصيدة "الأم والطفولة")، دار الملايين، بيروت 1968.
- بدر شاكر السياب، ديوان منزل الأقتان، دار العلم للملايين، بيروت 1968.
- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، أدب النهضة الحديثة، دار الجليل، بيروت 2003.
- سلمان آل طعمة، رواد الشعر الحر في العراق، دار البلاغة، بيروت 2020.
- عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب مذكراته وسيره حياته، دار النهار للنشر، بيروت/لبنان 1971.
- قيس كاظم الجنابي، مواقف في شعر السياب، بغداد 1988.
- محمود كامل فريد، ديوان أبو نواس الحسن بن هاني، المكتبة التجارية، القاهرة 1356هـ/1937م.
- مجد خضر، أدباء وشعراء، دار النشر، بغداد 2020.
- يوسف الصائغ، الشعر الحر في العراق منذ عام 1958، دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2006.
- يوتيوب برنامج "زوم"، وحلقة حول جماعة "الحرافيش": رابط تم الاطلاع عليه في 25 يوليو، 2023، <https://www.youtube.com/watch?v=X-Z6_RjQG6U&t=5s>.